اجتهادات
روبنسون كروزو

العلاقة بين العلوم والفنون أكثر من وثيقة. لا يتقدم أى مجتمع علمياً دون نهضة فنية. الفن ليس مجالاً للترفيه والتسلية فقط، بل هو إحدى روافع التقدم فى المجتمع.

الإبداع هو الجامع بين الفن والعلم. كل منهما ينتج عن استخدام العقل، وإطلاق قدرته على التفكير. وكلاهما يعتمد على إخضاع قضايا الحياة لسؤال العقل.

ولذا، ارتبطت النهضة الفنية فى العالم، بدءاً من أوروبا، بتطور كيفى فى العلم كانت الكشوف الجغرافية إحدى خطواته الأولى.

فتحت تلك الكشوف أبواباً كانت مغلقة أمام الإنسان، فبدأ فى التفكير بطريقة جديدة فى كل شىء، فتطور الإبداع الأدبى جنباً إلى جنب التجريب العلمى وما يقترن به من اكتشاف واختراع.

وكانت رواية روبنسون كروزو المشهورة فى العالم كله الآن إحدى نتائج ذلك الاقتران التاريخى بين العلم والأدب. وليس الجدل الطويل حول ما إذا كان مطلبها مستوحى من الخيال بشكل كامل، أم من شخصية بحار تحطم قاربه قرب إحدى جزر شيلى إلا تعبيراً عن الأثر العميق الذى أحدثته الكشوف الجغرافية فى تفكير الإنسان.

فهى تروى قصة بحار سطا قراصنة على سفينته، ومرت أحداث عدة إلى أن استقر به المقام وحيداً فى جزيرة على أحد الشواطئ التى لم تكن معروفة قبل تلك الكشوف.

وعندما أصدر دانييل ديفو هذه الرواية، قبل ثلاثة قرون بالتمام، كان العلم قد قطع خطوات مهمة فى طريق لم تعد لها نهاية، بفضل إسهامات كوبرنيكوس، وبرونو، وجاليليو فى الفلك، وبيكون بمنهجه التجريبى، وديكارت بإنجازه على صعيد مد الجسور بين العلم والفلسفة.

وصارت الطريق ممهدة للانتقال من الرواية القديمة إلى الحديثة، فكانت روبنسون كروزو عام 9171 أحد أهم معالم هذا الانتقال، وواحدة من أهم الروايات المبكرة التى حركت العقل، ودفعت إلى التفكير فى مغزاها، لأنها أثارت قضايا مازال الجدل حولها مستمراً مثل الظروف التى أدت إلى استعباد أعداد كبيرة من البشر، والمجازر التى أُبيد فيها معظم أبناء الشعوب الأصلية فى الأمريكتين وغيرهما.

وإذ تذكر روبنسون كروزو فى مئويتها الثالثة، يتعين أن نعيد طرح مثل هذه القضايا التى لم يحسم أى منها.